



حسابات الوجدان

لعل افضل تصوير لبرودة اعصاب الرئيس السوري حافظ الاسد خلال قمة جنيف وبعدها يكون باستعارة وصف اطلقه الجنرال ديغول على "جليدية" وزير خارجيته موريس كوف دو مورفيل، في مبارزة كلامية شهيرة مع الزعيم السوفياتي نيكيتا خروتشيف. كان خروتشيف يمتدح من جلد اندريه غروميكو القيم على الدبلوماسية السوفياتية لفترة قياسية، بالقول انه لو جلس على قطعة من الجليد لبقى عليها دون حراك حتى تذوب. فما كان من ديغول الا ان رد: "ولكن مع كوف دو مورفيل، الجليد لا يذوب". لا نخالنا نضيف شيئاً جديداً بذلك. فالاجماع السائد، لبنانياً وعربياً ودولياً، يقول بفولاذية اعصاب الرئيس السوري، بل بقدرته الدائمة على وضع العقلانية الباردة والحسابات الواقعية فوق اي اعتبار آخر.

والاهم ان المعنى الاول بالامر، اي الرئيس الاسد نفسه، غذى هذا الاجماع بالممارسة منذ ايام الرحلات المكوكية لهنري كيسينجر وزير الخارجية الاميركي السابق، غداة حرب ١٩٧٣، فصارت صورة المفاوضات الطويل الصبر والتي كان كيسينجر اشهر المروجين لها، عنصراً اساسياً من عناصر القوة التفاوضية السورية. لذلك، فان بعض ما جاء على السنة "مصادر سورية رفيعة" بعد قمة جنيف يستوقف، لما يشكله من خروج على هذه القاعدة الحديد. ليس المقصود هنا كلام الوزير الشرع عن دعم الشعب العربي لموقف "العزة والحق والعدل"، (دعم لا يتبدل مثله مثل الموقف)، وانما ما قيل من جهة عن مغبة لعبة العض على الاصابع باعتبار ان اصابعنا من فولاذ (او من خشب بحسب رواية اخرى) ومن جهة ثانية عن مكانة بحيرة طبريا في وجدان الرئيس الاسد منذ ان سبح في مياهها واكل من اسماكها.

صحيح ان العض على الاصابع لم يكن يوماً ليخيف القادة السوريين، وان يكن يروّع اللبنانيين المنشغلين بالعض على جروحهم. ولعل الاستعداد الدائم للخوض في اختبار قوة تسعى اليه اسرائيل (في لبنان) هو في صميم الاستراتيجية التفاوضية السورية. الا ان اهمية هذا المبدأ، بالقياس مع التجربة السورية المديدة، تأتي من كونه يُمارس دون ان يصرح به.

فالتصريح، وبلهجة التحدي، يمكن ان يساء فهمه على انه تعويض بالكلام، وان فولاذياً، عن القدرة على البقاء في مواجهة طويلة وصامتة كما عهدنا. وهو في اي حال يشكل خروجاً على صورة "ابو الهول" التي اربكت الكثير من المسؤولين الاسرائيليين ومستشاريهم المستشرقين. بيد ان الخروج الاكبر على صورة المفاوضات الباردة والواقعي في أن واحد يتمثل في اقحام "الوجدان" في حسابات الدبلوماسية التي لم يكن يخالطها حتى الآن الا خطاب العزة والحق والعدل، وكلها كلمات مبدئية اكثر منها وجدانية.

انها فعلاً صيغة فريدة في ما عهدناه من التحليل السياسي السوري، وهي لفرادتها، تذهب حتماً ابعد مما قد يسميه البعض الاستهلاك الداخلي (السوري - اللبناني). ولا يمكن قبول التفسير القائل بأن الاستعارة المائية مجرد وسيلة ناجعة للنفذ الى عقل من هم مولجون امور الحكم في لبنان. فالسباحة المفضلة في مياه السياسة اللبنانية، وان عكرة، هي مع التيار، فيما يتطلب الاستحمام في بحيرة طبريا دوراً اشد تعقيداً. ومن جهة اخرى، يصعب الاستخلاص من الكلام الوجداني ان ثمة مشكلة في



"شرعية" التسوية او في شرعتها. فلا نخال احداً في سوريا ولبنان وسائر الاقطار العربية الشقيقة سيأخذ على القيادة السورية "التنازل" في موضوع طبريا، ولا سيما ان الالتباس بين حدود ١٩٢٣ وخط ١٩٤٩ يجعل الجميع ميالاً الى تغليب البراغماتية كما يفعل الرئيس الاسد عادة وكما كان سيفعل هذه المرة لو ان طبريا بمياهها واسماها لم تكن عنواناً لمعضلة اكبر. هنا، ربما كانت الإشارة "الوجدانية" دليلاً على طبيعة هذه المعضلة، اي كونها معضلة نفسية، كما يتضح عند متابعة تصرف المسؤولين الاسرائيليين. ففي ازاء الاصرار الاسرائيلي على عقلية الغالب والمغلوب والرعاية الاميركية له، يصبح مفهوماً ان يفعل الوجدان فيشكك بأن المنطقة مقبلة على تبديل جذري. هذا النوع من التبديل الذي كنا اعتقدنا ان الرئيس الاسد آمن به على غرار "الفهد" قبله، أي الامير ساليناس في رواية لامبدوزا الرائعة وفيلم فيسكونتي الاروع، تبديل يطاول كل شيء... حتى يبقى كل شيء في مكانه.

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000398	
Media	(Support)	HC
Title		حسابات الوجدان
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تتمة ١١
Date		٢٠٠٠/٣/٣١
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	حافظ.أسد – موريس.كوف.دو.مورفيل – هنري.كسينجر – شارل.ديغول – نيكيثا.خروتشيف – اندريه.غروميكو
	Locations	سوريا – بحيرة.طبريا
	Dates	
	Themes	حافظ.أسد – قمة.جنيف – ديبلوماسية.سوفياتية – بحيرة.طبريا – سوريا – اسرائيل – تسوية – حرب.١٩٧٣ – فاروق.شرع – حدود.١٩٢٣ – مفاوضات – لبنان – سياسة.لبنانية – سياسة.سورية – خط.١٩٤٩
Subject		